

أنا وأنت على الطريق

ماذا يحدث للمرء عندما يقع في الحب؟

ماذا يحدث للمرء عندما يقع في الحب؟

هذا السؤال هو عنوان تقرير ورد مؤخرا في إحدى الصحف العربية. يقول: كتب الكثير من الشعراء والأدباء عن الأمور التي يمكن أن تحدث في القلب والعقل عندما يقع المرء في الحب. ورغم شاعرية الأوصاف التي تطلق على هذه الظواهر ، إلا أنها في واقع الأمر مجرد تفاعلات كيميائية في الجسم. ويقول تيموثي لفنج Timothy Lefing البروفسور المساعد في اختصاص عمل الجسم بجامعة تكساس الأمريكي : الحب هو عبارة عن ظواهر فيزيولوجية مثل تسارع نبضات القلب والتعرق. ويضيف لفنج أن تسارع النبض لدى رؤية الحبيب يعود إلى تدفق الأدرينالين في الدم بتلك اللحظة، وذلك بسبب الأوامر الصادرة من الدماغ إلى الغدد الخاصة بإفراز الهرمونات. ويشير الطبيب ريجنالد هو Regnald Hu أخصائي الشرايين في مستشفى فيلادلفيا ، أن تشابه انعكاسات الحب على عمل القلب مع آثار الرياضة المكثفة تجعل الحب أحيانا أمرا خطيرا بالنسبة للمصابين بأمراض القلب. باعتبار أن تسارع النبض يؤدي إلى تزايد استهلاك الأوكسجين. أما بالنسبة لمسألة الشعور بضعف في الركبتين ، فيعيدها الأطباء إلى تأثير هرمون " نوريبينفرين " Noribenvrine وهو هرمون يزيد من توتر المرء ويشد انتباهه وحواسه.

ويتابع التقرير ليقول: أما هيلين فيشر Helen Fisher الأستاذة في جامعة ريتغرز Ritgers ومؤلفة كتاب : لماذا هو ؟ لماذا هي ؟ المتعلق بأسرار الوقوع في الحب فنقول: إن هناك ثلاثة أنظمة تعمل في الدماغ لدى الوقوع في الحب، أولها متصل بالجنس . في حين أن الثاني متصل بالحب، والثالث بالتواصل. وتضيف فيشر أن هذه الأنظمة يمكن لها العمل بشكل منفصل أو متصل ، بحيث يشعر المرء بالحب بدافع جنسي، ثم يتطور الأمر على رغبة بالتواصل وبناء علاقة، وذلك بسبب هرمون أوكسيتوسين الذي يجعل الناس يشعرون بالمسؤولية حيال الآخرين وبضرورة الارتباط بهم. إلى هنا ينتهي التقرير.

نعم، هناك كثير من الأحاسيس التي تطفو على السطح بشكل دلائل عدة حين يقع الإنسان في الحب يا سيدتي أليس كذلك؟ ولقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان حساساً يتفاعل مع الإنسان الآخر عن طريق عواطفه ومشاعره. وعليه فإن حياة الرجل لا تكتمل إن لم يجد المرأة المناسبة له، والعكس صحيح أيضا أي لا تكتمل حياة المرأة ما لم تجد الرجل المناسب لها الذي تتجذب إليه وترتاح معه. وهذا ما عيَّنه الله منذ البدء حين خلق آدم من تراب الأرض ونفخ فيه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية. ويخبرنا سفر التكوين أول سفر في الكتاب المقدس عن قصة الخلق هذه ما يلي: وأخذ الرب الإله آدم ووضعها في جنة عدن ليعملها

ويحفظها.... وقال الرب الإله: ليس جيدا أن يكون آدم وحده، فأصنع له معينا نظيره. وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء . فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها... وأما لنفسه فلم يجد معينا نظيره. فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحما. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت. لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا. (تك ٢: ١٥ و ١٩-٢٥)

نعم يا سيدتي. لم يجد آدم معينا نظيره في كل الجنة التي تحت تصرفه. إلا حينما أحضر له الله الخالق المرأة التي بناها له من ضلعه. وحالما وقع نظر آدم على المرأة الأولى، عرف أنها جزء من تكوينه ليس الخارجي فقط بل تكوينه النفسي والروحي أيضا. لهذا يترك الرجل أباه وأمه، حين يجد الشخص المناسب له، ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا. وهكذا وجد آدم معينا نظيره. أجل ويسرُّ الواحد منا حين يجد نصفه الآخر، فيقيم معه علاقة لا تنفصم عراها عن طريق الزواج المقدس. هذا الحب الذي مصدره الله نفسه هو نموذج عن محبة الله للإنسان. نعم يا سيدتي، فالله محبة. وكما أن الرجل يتوق إلى أن يبني علاقة حب مع زوجته، هكذا الله يتوق أن يقيم علاقة وشركة مع بني البشر. لهذا يقول: **فالله يشاء أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.** الله يدعو جميع الناس إلى علاقة حب معه. علاقة محبة بُنيت على البذل والتضحية إذ أرسل الفادي لكي يموت عن خطايا البشر وينقذهم من الموت الأبدي. فهل اختبرت محبة الله؟
